المحاضرة الأولى

المجتمع العربي قبل الدعوة الإسلامية

اصطلح المؤرخون على تسمية تاريخ العرب في شبه الجزيرة العربية قبل نزول الإسلام بالعصر الجاهلي، وذهبوا إلى أن العرب كانت تغلب عليهم البداوة، وتخلفوا عن الشعوب والأمم الأخرى التي سبقتهم أو عاصرتهم. وكان أغلب العرب يعيشون عيشة قبائل رحل، في جهل وغفلة، لم تكن لهم دول أو كيانات سياسية قائمة، ولم تكن لهم علاقات بدول العالم، جلهم أميون، يعبدون الأصنام، ليس لهم تاريخ حافل، لذلك عرفت تلك الحقبة التي سبقت الإسلام عندهم بالجاهلية.[1]

والجاهلية، مصطلح مستحدث، ظهر بظهور الإسلام، وقد أطلق على عصر ما قبل الإسلام تمييزا وتفريقا لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة. فهي إذن نعت إسلامي من نوع النعوت التي أطلقها المسلمون على ذلك العهد، كما تطلق اليوم نعوتا وأسماء على العهود الماضية التي يثور الناس عليها. وفي كثير من تلك التسميات ما يدل ضمنا على شيء من الازدراء والاستهجان للأوضاع السابقة في غالب الأحيان.[2]

واختلف الناس في فهم مصطلح الجاهلية، فهي عند بعضهم من الجهل الذي هو ضد العلم أو عدم اتباع العلم، ومن الجهل بالقراءة والكتابة، وفهمها آخرون أنها من الجهل بالله وبرسوله وبشرائع الدين وباتباع الوثنية والتعبد لغير الله، وذهب آخرون إلى أنها من المفاخرة بالأنساب والتباهي بالأحساب والكبر والتجبر وغير ذلك من الخلال التي كانت من أبرز صفات الجاهليين.[3]

---

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د ن. ط 2، د. م، 1993. ج 1، ص 37.

[2] المرجع السابق، ص 37، 42.

[3] المرجع السابق، ص 38.

والراجح ان الجاهلية من السفه والحمق والأنفة والخفة والغضب وعدم الانقياد لحكم وشريعة وإرادة إلهية وما إلى ذلك من حالات انتقصها الإسلام. وفي أيامنا هذه عادة ما تطلق كلمة جاهل على من يتسفه ويتحمق وينطق بكلام لا يليق صدوره من رجل، فلا يبالي أدبا ولا يراعي عرفا، وتطلق أيضا على من لا يهتم بمجتمع ودين، ولا يتورع من النطق بأفحش الكلام،[1] وربما يكون الذي تطلق عليه متعلما، أو حاملا لشهادة عليا.

وينقسم العرب إلى قسمين عرب الشمال وعرب الجنوب، واعتاد النسابون أن يقولوا: إن عرب الشمال من نسل إسماعيل بن إبراهيم ويسمون أيضا بالعدنانيين، وعرب الجنوب من نسل قحطان، ويسمون باليمنيين أو القحطانيين. وتوجد بين القسمين مجموعة من الفوارق الاجتماعية والحضارية، منها أن عرب الجنوب أهل حضارة وكانوا يعيشون حالة استقرار، وأهل الشمال تغلب عليهم البداوة والترحال.[2]

وتعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية، وهي تتكون من جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة، ورابطة العصبية هي شعور التماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم، وهي على هذا النحو مصدر القوة السياسية والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة.[3] وقد تتحالف القبيلة مع قبيلة أو قبائل أخرى للإغارة على حلف آخر، أو للدفاع ورد غارة القبائل الأخرى.[4]

وأفراد القبيلة الواحدة متضامنون وينصر أحدهم الآخر ظالما أو مظلوما، معتديا أو مدافعا، وإذا جنى أحدهم جناية حملتها كل القبيلة، وإذا غنم غنيمة فهي للقبيلة ولرئيسها أفضل.

---

[1] المرجع السابق، ص 40.

[2] أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط 11، القاهرة، 1975. ص 5.

[3] سالم السيد عبر العزيز، تاريخ الدولة العربية تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1973. ص 17.

[4] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 4.

وإذا أبت قبيلة أن تحميه لجأ إلى قبيلة أخرى ووالاها، واعتبر نفسه واحدا من أفرادها. وهذا الشعور بالارتباط بقبيلة يحميها وتحميه هو الذي يسمى بالعصبية. ولا يؤمن البدوي إلا بتقاليد قبيلته وما ورثه عن آبائه. ويفتخر العربي البدوي بمروءته وهي المثل الأعلى عنده، وهي تعتمد على الشجاعة والكرم. وتتمثل الشجاعة في كثرة من النزال والقتال في مواقف الدفاع عن القبيلة وتلبية النجدة. أما الكرم فهو يتمثل في نحر الإبل والماشية للضيف وإغاثة البائس والفقير، وأن يعطي أكثر مما يأخذ.[1]

والمرأة تشارك الرجل في كل الشؤون مثل جمع الحطب وجلب الماء، ورعاية الماشية، وفي المسكن والملبس ... الخ، وهي أقرب في عقليتها للرجل ولكن لا يعتمد عليها في الحروب، وبما أن للحروب أهمية خاصة، انحطت قيمة المرأة عند العرب.[2]

هذا بالنسبة للعرب البدو، أما العرب الحضر في اليمن وفي بعض مدن الحجاز، فقد كانوا يعيشون على التجارة أو الزراعة، وقد أسسوا قبل الإسلام ممالك ذات مدنية كاليمن، والغساسنة في الشام، والمناذرة في العراق.[3]

وقد عبد العرب في جاهليتهم آلهة متعددة، منها القمر والشمس، وعبدوا الأصنام التي نصبوها حول مكة، وكانوا يعظمونها ويذبحون لها ويهدون لها، واعتاد عرب الجنوب أن يكرموا آلهتهم بإحراق العطور على مذابح الآلهة.[4] وكان جماعة من العرب على دين سيدنا إبراهيم الحنيف، فكانوا يعظمون البيت الحرام، ويطوفون حوله.[5]

---

[1] أحمد أمين، مرجع سابق، ص 10.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص 11.

[4] فياض عبد الله، محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، مطبعة الارشاد، بغداد 1967. ص 10.

[5] نفسه.

المحاضرة الثانية

ظهور الإسلام وبناء الدولة الإسلامية

يمثل ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية ثورة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، بل أعطى الإسلام للعرب انتقالا حاسما في تاريخهم، إذ جعل لهم دينا واحدا يدعو إلى التوحيد، وحقق لهم وحدتهم السياسية، وجعل منهم أمة موحدة قوية، حققت فتوحات واسعة. ولكل ثورة دينية أو سياسية أو اجتماعية مراحل تمهيدية ومقدمات، والتقديم لهذه الثورة واضح في تاريخ العرب قبل الإسلام، ويتجلى ذلك في ضعف المثل الجاهلية القديمة سواء كانت سياسية أم دينية أم اجتماعية، والميل إلى تركها والبحث عن مثل أخرى جديدة، والتنبؤ بقرب ظهور نبي مصلح يدعو إلى هذه المثل.[1] في هذه الظروف ظهرت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة معقل الوثنية، ومربط التجار في شبه الجزيرة العربية.

صاحب الدعوة هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ويدعى شيبة الحمد، ابن هاشم بن عبد مناف واسمه المغيرة، ابن قصي ويسمى زيدا، ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (وفوق هذا النسب مختلف فيه بين النسابة والمؤرخين).

وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم".

أبوه هو عبد الله بن عبد المطلب وهو أصغر إخوته، وقد توفي وزوجته حامل بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، وأمه هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية الزهرية، وهي أفضل نساء قريش نسبا وموضعا.

---

[1] سالم السيد عبر العزيز، مرجع سابق، ص 39.

ولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمكة عام الفيل، في 12 ربيع الأول الموافق لـ 20 افريل 571 م على الأرجح. فأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب أياما، ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وفطم رسول الله لسنتين، فردته حليمة إلى أمه وجده وهو ابن خمس سنين. ولما بلغ السنة السادسة من عمره، خرجت به أمه لزيارة أخواله من بني عدي بن النجار في يثرب، ومعها عبد المطلب جد النبي، وأثناء عودتها إلى مكة توفيت بالأبواء، فأصبح الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتيم الأب والأم، فكفله جده عبد المطلب وكان يؤثره على بنيه ويغمره بحنانه ويدنيه منه. ولما بلغ الثامنة من عمره توفي جده عبد المطلب، فكفله عمه أبو طالب، فكان يحنو عليه ويعتني به ويخرجه معه في أسفاره وكان يجد فيه من النجابة والذكاء والبر وطيب النفس ما جعله يزداد تعلقا به، وأخرجه معه إلى الشام في تجارة له.

وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة في رعاية عمه أبي طالب، واشتغل حينا برعي الغنم، ثم شهد –في شبابه– حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وقد أخرجه أعمامه معهم في بعض أيامها، وكان يرد على أعمامه نبال عدوهم إذا رموهم بها. كذلك شهد النبي مع عمومته حلف الفضول الذي كان هدفه مناصرة المظلوم على الظالم.

ولما تجاوز النبي سن العشرين وجهته السيدة خديجة بنت خويلد، وكانت امرأة شريفة موسرة ذات تجارة عريضة، إلى الشام في تجارة لها، وذلك عندما بلغها من أمانته وصدقه ووفائه. فخرج النبي في تجارتها إلى الشام حيث باع واشترى ما أراد، وقفل عائدا بمالها إلى مكة، وقد حقق أضعاف ما كان يصلها من المال. ولما رأت خديجة أمانته وبركته، وسمعت من غلامه ميسرة عن نبله وصدقه وطهارته، دست إليه من عرض عليه أن يتزوجها، فرغب في ذلك، فتزوجته وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي ابنة أربعين سنة، وكانت خديجة أول امرأة تزوجها النبي، ولم يتزوج غيرها حتى توفيت، فأنجبت له ولده كلهم إلا إبراهيم.[1]

[1] سالم السيد عبر العزيز، مرجع سابق، ص 39.

ولما دنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الأربعين سنة، مال إلى العزلة، وحببت إليه الخلوة في غار حراء، حتى نزل عليه الوحي في شهر رمضان، ثم انقطع الوحي مدة من الزمن، فشق ذلك على النبي وأحزنه حزنا شديدا حتى نزلت عليه سورة الضحى، التي أقسم فيها الله تعالى أنه ما تركه وما أبغضه منذ أحبه. وبينما كان يسير يوما إذ سمع صوتا فرفع رأسه إلى مصدره، فإذا جبريل بين السماء والأرض، فخشي منه النبي ودخله منه روع، وأسرع إلى داره يرتجف وأتى خديجة وطلب منها أن تدثره فنزلت عليه سورة المدثر: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7)"

وبنزول هذه السورة، تبدأ الدعوة الإسلامية بمراحلها المختلفة، حيث بادر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام ودعا الناس إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام وبدأ بأقرب الأقربين إليه.

مراحل الدعوة الإسلامية:

أولا: المرحلة المكية: وقد استغرقت مدة ثلاث عشر سنة، من بداية الدعوة إلى الهجرة، ويمكن تقسيمها إلى دورين:

الدور الأول: الدعوة سرا: وهي تبدأ من أول سنة للدعوة بعد أن نزلت سورة المدثر، وقد استغرق هذا الدور ثلاث سنوات، وبدأ بأقرب الأقربين إليه، ولم يتكلم عن الإسلام في المجالس العمومية لقريش.

وكان في أوائل من دخل الإسلام من هؤلاء: خديجة بنت خويلد، وعلي بن ابي طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر بن أبي قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص ... (رضي الله عنهم). وكان أحدهم إذا أراد القيام بعبادة من العيادات ذهب إلى شعاب مكة يستخفي فيها عن أنظار قريش.

ثم أسلم بعد هؤلاء طبقة ثانية منهم: أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم وعثمان بن مظغون وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وفاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وأختها عائشة. ولما زاد عددهم عن الثلاثين ما بين رجل وامرأة، أصبحوا يجتمعون سرا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دار الأرقم بن أبي الأرقم للإرشاد والتعليم.

وكانت حصيلة هذه الدعوة في هذه الفترة ما يقارب أربعين رجلا وامرأة، اعتنقوا الإسلام، معظمهم من الفقراء والأرقاء وممن لا شأن له بين قريش. ويمكن ملاحظة أمرين في هذه المرحلة:

الأول: حافظ الرسول (صلى الله عليه وسلم) على سرية الدعوة حفاظا على أصحابه وتعليما للدعاة وإرشادا لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة.

الثاني: أن الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام كانوا من المستضعفين، والحكمة في ذلك أن حقيقة هذا الدين، تتمثل في الخروج عن سلطان الناس وحكمهم إلى سلطان الله وحكمه وحده، وهذا يخدش كبرياء وسيادة المتسلطين والمتحكمين.

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس في هذه المرحلة ويعلمهم أربعة أشياء:

1 – الوحدانية المطلقة: فالإنسان ليس عبدا لأي كان في الأرض وليس هناك شركاء ولا شفعاء ولا وسطاء.

2 – الدار الآخرة: وهو اليوم الذي يلقى فيه الناس ربهم.

3 – تزكية النفس: وذلك بلزوم العبادات التي شرعها الله عز وجل، والابتعاد عن الأمور التي نهانا عنها.

4 – حفظ كيان الجماعة المسلمة: باعتبارها وحدة متماسكة تقوم على الأخوة والتعاون، بنصر المظلوم وإعطاء المحروم وتقوية الضعيف.

الدور الثاني: الدعوة جهرا والكف عن القتال: مدة هذا الدور عشر سنوات. أمر الله تعالى بالجهر بالدعوة، لما نزلت الآية: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95)" (سورة الحجر، الآيتان 95 و95). وفي سورة الشعراء يقول الله تعالى لنبيه الكريم: " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220). (سورة الشعراء، الآيات 214-220).

ولما بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) دعوته، سخرت منه قريش ولكنها عندما أيقنت من أنه كان جادا فيها انقلبت محاولتها إلى اضطهاد وتعذيب، فأخذت تسيء معاملته وتسوم أتباعه صنوف العذاب.[1]

وأهم أحداث الدور الثاني نلخصها في فيما يلي:

1) **اضطهاد قريش للمسلمين:** حيث عاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) آلهة قريش وسفهها، وحقر من شأنها، فأعظموا الأمر وناكروه، وأجمعوا على خلافه وعدوانه، وطلب جماعة من عمه أبي طالب أن يكفيه عنهم أو يخلي بينهم وبينه. وكان إيمان النبي برسالته قويا وعميقا، فلم يرهبه تهديد قريش فواصل أداء رسالته، وأحست قريش مدى خطورة الدعوة الإسلامية على عبادة الأوثان التي هي المصدر الرئيسي لما كانوا يجنونه في مواسم الحج من ثروات. فتسلط مشركو قريش بالأذى على من أسلم مثل بلال بن رباح وعمار بن ياسر وأبويه وكانت سمية أول شهيدة في الإسلام.

2) **الهجرة إلى الحبشة:** لما اشتد البلاء، اذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة لما عرفه عن ملكها من تسامح، وقال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا

[1] فياض عبد الله، مرجع سابق، ص 29.

مما أنتم فيه". وبلغ عدد من هاجر إلى الحبشة 83 رجلا بخلاف الزوجات والأبناء (منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد أرسلت قريش وفدا لملك للنجاشي تطلب منه تسليم المهاجرين، ولكنه امتنع عن ذلك.

3) **الصحيفة القرشية:** بعد أن أسلم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب، وفشلت قريش في استعادة من هاجر إلى الحبشة، اجتمع أعيان المشركين في مكة وقرروا مقاطعة الرسول وأصحابه، فكتبوا كتابا تعاقدوا فيه على الامتناع عن البيع والشراء من بني هاشم وبني عبد المطلب وعزلهم عن مكة، وعدم مصاهرتهم، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم، ثم طردوا المسلمين إلى شعاب مكة وكل بني هاشم وبني عبد المطلب إلا أبا لهب عم الرسول (صلى الله عليه وسلم).[1]وحوصر النبي ومن معه من عشيرته ومن المسلمين، ثلاث سنوات، واشتد الحصار وانقطع الغذاء حتى بلغهم الجهد، وتصايح صبيانهم جوعا ومات بعضهم. وقد فشلت المقاطعة لصعوبة تطبيقها أولا، ولوقوف جماعة من قريش ضدها ثانيا.[2] وفي العام العاشر من البعثة، وفي الوقت الذي اشتد اضطهاد قريش للنبي وأصحابه، فقد النبي سندين وناصرين له في سبيل الحق: أولهما عمه أبو طالب الذي كان يحنو عليه ويمنعه من أعدائه، ثم زوجته الوفية أمنا خديجة. وفي هذا العام أيضا أسرى الله بنبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس.

4) **الخروج إلى الطائف:** ولما اشتد إيذاء قريش للنبي بعد وفاة أبي طالب وخديجة خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من قبيلة ثقيف، وتحدث مع سادتها وأشرافها ودعاهم للإسلام، ولكنهم لم يجيبوه إلى ما أراد، وأخذوا يتهكمون عليه، ثم حرضوا صبيانهم وسفهاءهم وعبيدهم، وراحوا يسبونه ويصيحون به، وتجمعوا عليه، وقعدوا له صفين

---

[1] ابن هشام (أبو محمد عبد الملك ت 213هـ)، السيرة النبوية، ضبطها وعلق عليها أحمد عبد الرزاق الخطيب، دار الإمام مالك، الجزائر، 2008. ج 2، ص 3.

[2] فياض عبد الله، مرجع سابق، ص 29.

على طريقه، وضربوه بالحجارة حتى أدموا رجليه، وشجوا رأسه. ولما لم يجد الرسول ﷺ نجاحا في الطائف، ولم يستجب لدعوته رجل واحد، انصرف إلى مكة محزونا. وازداد قومه عليه حنقا وغيظا وجرأة وتكذيبا وعنادا.[1]

5) **بيعتا العقبة الأولى والثانية:** بعد عودة الرسول ﷺ من الطائف، أخذ يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم عكاظ والحج، يدعوهم إلى الله، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه. وإيوائه حتى يبلغ رسالة ربه، وكان عمه أبو لهب يترصده ويتعرض له، ويدعو القبائل إلى الامتناع وعدم قبول دعوته. ولم تقبل أي قبيلة أن تنصره، ولكن رسول الله ﷺ لم ييأس من إباء القبائل عليه، وواصل اتصالاته بأشراف العرب، فكان لا يسمع بقادم إلى مكة من سادات العرب وأشرافها حاجا أو معتمرا إلا دعاه إلى الإسلام. وحدث أن قدم إلى مكة في السنة الحادية عشر من البعثة وفد من يثرب فالتقى بهم النبي ﷺ وأسمعهم شيئا من القرآن الكريم، وفي العام التالي، أي في السنة الثانية عشر من البعثة، قدم إلى موسم الحج وفد آخر من يثرب يتكون من الأوس والخزرج، فالتقوا بالنبي عند العقبة وبايعوه على ألا يشركوا بالله شيئا، وأن يتجنبوا السرقة والزنا وقتل الأولاد، وألا يأتوا بهتانا يفترونه، وألا يعصوا النبي في معروف، وتسمى هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى، وبعث الرسول ﷺ معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام. وفي العام التالي، أي في السنة الثالثة عشر من البعثة قدم من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من الأوس والخزرج مع قومهم الوثنيين بهدف الحج، واجتمعوا بالنبي ﷺ عند العقبة فحدثهم عن الإسلام ودعاهم إلى عبادة الله وتوحيده، فأظهروا صدق نيتهم وأظهروا إخلاصهم للنبي وطلبوا منه الهجرة إلى بلدهم يثرب. ثم قال: "ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم"، وتعرف هذه البيعة ببيعة العقبة الثانية.

---

[1] ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي وعبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007، ج 3، ص 112.

وبعد عودتهم انتشر الإسلام بيثرب، وأخذ أصحاب النبي يهاجرون إليها. فاستقبلهم أهلها بترحيب كبير، ثم هاجر إليها النبي ﷺ بصحبة أبي بكر الصديق.[1]

والملاحظ أن أهل يثرب كانوا أكثر تصديقا للرسول ﷺ من غيرهم، وأن الرسول اختار هذه البلدة (يثرب) لتكون مأوى وملجأ له وللمسلمين الذين يعانون من الاضطهاد والتعذيب في مكة. ويعود ذلك إل جملة من العوامل منها:

1. كان أهل يثرب يعلمون من اليهود، أن نبيا سيبعث.
2. لم يكن لأهل يثرب مصلحة اقتصادية في تمسكهم بالوثنية كقريش.
3. ستزيل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وإقامته فيها ما بين الأوس والخزرج من نفور وتنازع على السلطة والنفوذ.
4. توجد بين الرسول ﷺ وأهل يثرب صلة قرابة، ففيها بنو النجار، وهم أخوال جده عبد المطلب، وفيها قبر أبيه، وغير بعيد عنها، في الأبواء الواقعة في الطريق بين مكة والمدينة يوجد قبر أمه.

[1] فياض عبد الله، مرجع سابق، ص 30.

المحاضرة الثالثة

المرحلة المدنية

ثانيا: المرحلة المدنية (المدينة المنورة):

عاش الرسول ﷺ في مكة المكرمة ثلاثا وخمسين سنة، حتى ألفته وألفها، وكل عشيرته وقومه منها، ولكنه خرج منها إلى وطن جديد، يرى فيه امتداد قلبه وثمار غرسه.[1] ومن هذا الموطن الجديد ستنطلق الدعوة الإسلامية لتشمل كل شبه الجزيرة العربية، وستنطلق إلى آفاق العالم القديم.

وبمجرد أن استقر النبي ﷺ في المدينة، أسس أول دولة إسلامية في العالم، وهي أول دار للإسلام، وقد قامت على مجموعة من الأسس منها:

1. **بناء المسجد الجامع بالمدينة:** بني المسجد حيث بركت الناقة، وهو موضع لغلامين يتيمين، واشتراه الرسول ﷺ منهما، وكان فيه نخيل وشجر غرقد وخرب ومقبرة قديمة للمشركين ... فنبشت القبور وغيبت العظام وقطعت الأشجار وسويت الخرب ... وقد شارك الرسول ﷺ مع أصحابه في بناء المسجد. وكان المسجد بسيطا في بنائه وفراشه وسقفه وأعمدته ... ومنه تخرج كبار القادة والفاتحين.

وقد كان المسجد في المدينة مركزا لصلاة المسلمين، ودار ندوة لهم في نفس الوقت، ففيه كان يتشاور النبي مع الصحابة في شؤون جماعة المسلمين وعلاقتهم بقريش ... وفيه كانت تستقبل وفود العرب إلى المدينة، وفيه كانت تعقد ألوية المسلمين عند خروجهم إما للإستطلاع أو للغزو، وكان المسجد مركزا ثقافيا وعلميا، فكان الصحابة يتولون تعليم القرآن والسنة لمن أراد أن يتعلمها من وفود العرب القادمة إلى المدينة.[2]

---

[1] الغزالي محمد، فقه السيرة، دار الكتب الحديثة، ط 6، القاهرة، 1965. ص 182.

[2] سالم السيد عبر العزيز، مرجع سابق، ص 81.

2. **المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:** وهي من أهم الأسس التي قامت عليها دولة المدينة، حيث ربط رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار برابطة المؤاخاة، وهو ما كان يعرف في الجاهلية باسم الحلف، أي أنه آخى بينهم على الحق والمؤاساة، وبذلك تآخى أبو بكر مع خارجة بن زهير الأنصاري، وعمر بن الخطاب مع عتبان بن مالك الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع الخزرجي الأنصاري وعثمان بن عفان مع أوس بن ثابت المنذر.[1]

والهدف من هذا الإخاء هو إذابة عصبيات الجاهلية، وسقوط فوارق النسب واللون والوطن، وبذلك توثقت وحدة المسلمين في المدينة، واصبحوا قوة يحسب لها ألف حساب. وكانت هذه الأخوة عقدا نافذا، لا لفظا فارغا أو مجرد شعارات وهتافات سياسية أو حزبية أو ثرثرة ... وقد حرص الأنصار على الحفاوة بإخوانهم المهاجرين. والمهاجرون لم يستغلوا هذا البذل والعطاء إلا بقدر ما يتوجهون إلى العمل الحر الشريف. ومن الأمثلة عم ذلك ما حدث بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع. فقال سعد لعبد الرحمن، إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك، فسمِّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن، بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع ...[2] كان سعد سمحا وكان عبد الرحمن نبيلا عفيفا، زاحم اليهود في سوقهم وبزهم في ميدانهم وكسب ما يحفظ له علو همته.[3]

3. **موادعة يهود يثرب:** رغب الرسول ﷺ في أن ينظم الأمور الاجتماعية والعسكرية للمجتمع المدني، فعقد لذلك عقدا بينه وبين أهم الجماعات التي يتكون منها المجتمع الجديد. "وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم،

---

[1] ابن هشام، مصدر سابق، ج 2، ص 125.

[2] ابن كثير، مصدر سابق، ج 3، ص 191.

[3] الغزالي محمد، مرجع سابق، ص 193.

وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم".[1] وتعرف هذه الوثيقة في التاريخ الإسلامي، بالصحيفة، وقد تضمنت تنظيما للحياة الاجتماعية في المدينة وتحديدا للعلاقات بين أهل المدينة المسلمين وبين يهودها. ويطلق على مثل هذه الوثيقة في عصرنا، كلمة (دستور)ن لنها حددت الحقوق والواجبات لأهل يثرب على أساس المواطنة.

4. **تشريع الجهاد:** بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى يثرب، وأسس فيها أول دار للإسلام، كان على يقين أن قريشا لن تتركه يتقوى ليتغلب عليها أو على الأقل ليتحرش بقوافلها التجارية إلى الشام. وبعد أن انتهى الرسول ﷺ من تنظيم شؤون المسلمين في دار هجرتهم (مؤاخاة، وعلاقات مع غيرهم)، اهتم بوضع معالم سياسته الخارجية، خاصة بعد أن نزلت الآيات التي شرعت الجهاد للمسلمين. وقد أمر الله رسوله بكسر شوكة الكفر والشرك حتى لا يخشى من يريد الإسلام على نفسه وأن يطمئن إلى سلامته. وبدأ الرسول في تنفيذ أمر ربه، وحاول استطلاع قوة قريش، فأرسل عدة سرايا وقام بعدة غزوات.

وكانت السرايا تقوم باعتراض عير قريش في طريقها إلى الشام أو عند عودتها إلى مكة، دون أن تشتبك معها في قتال أو تستولي على قوافلها. وكان سبب إرسال النبي لهذه السرايا، مجرد التظاهر بقوة المسلمين ومضايقة قريش وموادعة القبائل النازلة في طريق القوافل والتحالف معها، وتلقف أخبار قريش. وقد بلغ مجموع غزوات النبي ﷺ سبع وعشرون غزوة، قاتل في تسع منها فقط، بينما بلغ عدد السرايا سبع وأربعون سرية وقيل ثلاثا وأربعين سرية.

فتح الرسول ﷺ مكة في السنة الثامنة للهجرة، ثم حج حجة الوداع في العام العاشر، وشهد انتصار الإسلام على الوثنية ممثلا في الحشود الهائلة من الحجاج الذين امتلأت بهم ساحة

---

[1] ابن هشام، مصدر سابق، ج 2، ص 121.

الحرم، وشهد النبي كيف ارتفعت كلمة الإسلام في هذا العدد الضخم من الحجاج الذي بلغ ما يقرب من مائة ألف حاج من العرب ليس بينهم مشرك واحد.

ولما أدى النبي ﷺ مناسك الحج على النظام الإسلامي، وخطب في المسلمين في عرفات خطبته الأخيرة، عاد إلى المدينة في 14 من ذي الحجة، ثم مرض مرضه الذي مات فيه يوم 27 صفر وهو في بيت ميمونة أم المؤمنين، فاستأذن صلوات الله عليه نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له في ذلك، وطال مرضه ﷺ أثني عشر يوما وقيل أربعة عشر يوما، ثم قبض يوم الاثنين لاثنتي عشرة من ربيع الأول في السنة الحادية عشر للهجرة/07 جوان 632م، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة.[1]

[1] سالم السيد عبر العزيز، مرجع سابق، ص 81.

المحاضرة الرابعة

عهد الخلفاء الراشدين

انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعين للمسلمين خليفة له عليهم، ولم يوص لأحد من أصحابه، فنشأت بعد وفاته مباشرة مشكلة خلافته في حكم الأمة الإسلامية، وقد قامت أزمة سياسية حول موضوع الخلافة وتصارع المسلمون على السلطة، وتألفت عدة جماعات سعت كل منها للحصول على الخلافة لمرشحها.[1]

والخلافة نظام مستحدث أملته الظروف بعد وفاة النبي ﷺ. وهي في مفهومها نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا.[2] أو هي: "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا".[3] والخليفة بهذا المفهوم يجمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، باعتباره إماما للمسلمين ويسهر على تطبيق العدالة وحماية الدين وينظر في مصالح المسلمين الدنيوية.

وقد وضع ابن خلدون خمسة شروط للخليفة وهي: العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء والنسب القرشي، وكذلك الماوردي في كتابه احكام السلطانية يشترط أن يكون الخليفة من قريش. واشتراط النسب القرشي كان بهدف دفع التنازع بين المسلمين لأن القائم بأمورهم، لا بد أن يكون من قوم أولي عصبية قوية.[4] وليس من شروط الخلافة مبدأ الوراثة الذي اعتمد عليه الأمويون والعباسيون وبقية الدول الإسلامية الأخرى التي نشأت بعد الخلفاء الراشدين.

---

[1] فياض عبد الله، مرجع سابق، ص 35.

[2] الماوردي، الأحكام السلطانية.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص 386.

[4] المصدر السابق، ص 345.

اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة يتولى شؤون المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ. وقد وقع اختيارهم على أبي بكر الصديق، وفيها بايعه الأنصار والمهاجرون بيعة خاصة، ثم بايعه المسلمون بيعة عامة في المسجد النبوي. وفي أول خطبة له قال: "أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

تولى أبو بكر الصديق أمور المسلمين من سنة 11 إلى 13هـ، وأبرز الأحداث التي تميز بها عهده نلخصها فيما يلي:

- حروب الردة: حيث تمرد عليه عدد كبير من القبائل العربية التي أعلنت عودتها للوثنية، أو رفضت دفع الزكاة، وظهر في بعض القبائل من ادعى النبوة، فتبعه عدد كبر من العرب. وعزم أبو بكر على محاربة المرتدين بدون هوادة حتى انتصر عليهم وقهرهم جميعا، وكان خالد بن الوليد من أبرز قادة المسلمين في هذه الحروب.
- الفتوحات الإسلامية: فقد أرسل أبو بكر الصديق جيشا لفتح العراق التي كانت خاضعة للفرس، وجيشا آخر إلى بلاد الشام التي كانت خاضعة للحكم البيزنطي. فكتب إلى المسلمين "يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع، وأتوا المدينة من كل أوب"[1].
- جمع القرآن: وهي من الأعمال المهمة، حيث بعد أن توفي عدد كبير من الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم في حروب الردة، قام أبو بكر بجمع القرآن الكريم في صحف بعد أن كان مبعثرا في أصول الجريد وأكتاف الإبل والغنم والجلود، والخزف، وفي صدور جماعة من الصحابة.

---

[1] البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر)، فتوح البلدان، حققه عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987. ص 149.

بعد وفاة أبي بكر الصديق، تولى الخلافة عمر بن الخطاب، واستمر عهده من سنة 13 إلى 23 هـ. وفي عهده حقق المسلمون انتصارا باهرا على الفرس في معركة القادسية عام 15 هـ، وقضوا على دولتهم، كما انتصروا على الروم في معركة اليرموك في نفس السنة وبموقعة اليرموك انهار سلطان الروم في بلاد الشام، واستمرت الفتوحات في السواحل الجنوبية للبحر المتوسط إلى أن فتحت مصر سنة 19هـ. كما اشتهر عمر بن الخطاب بتنظيمه الإداري للدولة الإسلامية حيث أنشأ الدواوين ونظم الخراج واشتهر بعدله بين الناس وشدته مع عماله.

وبعد عمر بن الخطاب تولى الخلافة عثمان بن عفان (23 – 35هـ) الذي استمر في إرسال الجيوش لفتح البلاد ونشر الإسلام، غير أن بعض الناقمين عليه وعلى سياسته، انتفضوا ضده وقاموا باغتياله في المدينة المنورة.

ثم تولى الخلافة علي بن أبي طالب (35 – 40هـ) حيث تميز عهده باندلاع الفتنة الكبرى، فقامت موقعة الجمل، ثم موقعة صفين التي أدت إلى انقسام المسلمين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن سفيان.[1]

[1] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط 14، بيروت 1996. ج 1، ص 219.